

جهود علماء العربية في مواجهة مشكلة المصطلح العلمي العربي

د / برطولي سليم.

– المدرسة العليا للأساتذة(بوزريعة)

يعتبر المصطلح العلمي و التقني أداة من أدوات التفكير ووسيلة من وسائل التقدم العلمي و الأدبي ، فهو لغة مشتركة، بها يتم التواصل و التفاهم ، خاصة بين طبقة أو فئة معينة في مجالات المعرفة و الحياة ، فما العلم إلا لغة أحكم وضعها، وإذا لم يتوفر للاصطلاح العلمي هذا الإحكام وهذه الدقة فَقَدْ مُبَرَّر وجوده وتعطلت وظيفته.

ولقد سبق العرب غيرهم من الأمم في توفير " المصطلح العلمي " حتى كان لهم في " علم المصطلح " طرقهم الخاصة وتقاليدهم التي أفادوها في هذه المعارف العلمية ، فتركوا لنا الكثير من المصطلحات التي تتوزع في شعب المعرفة كافة تمثلت في مُعجمات خاصة بكل علم من العلوم . وقد أتيح للعرب أن يجدوا في لغتهم وسائل مفيدة في توفير المصطلح منذ أن أظلم الإسلام بظله فتحوّلت العربية بظهور الإسلام لغة علمية حفلت بكل ما يقتضيه العلم من " مصطلح " وليس أدل على ذلك من أن غير العرب من العلماء المسلمين قد اتخذوها لغة لهم، فكتبوا بها مصنفاتهم العلمية حتى عدهم المؤرخون من علماء العرب.⁽¹⁾

غير أن العربية في بداية أمرها لم تعرف لفظة " مصطلح " ولا لفظة " اصطلاح " بالمعنى الذي نعرفه اليوم مقابلا للفظ الأجنبي " Term " وإنما عرفت لفظة " المصطلح " مصدرا ميميا ولفظ " اصطلاح " مصدرا لفعل مزيد بالهمزة و التاء على وزن " افتعل " من الفعل الثلاثي " صلح يصلح " ولم يتخذوا هذا اللفظ : " اصطلاح يصطلح اصطلاحا " ، ولفظ : " المصطلح " الجائز صوغه مصدرا ميميا، أو اسم مفعول مقابلتها في المعنى للفظ الأجنبي " term " إلا في المئة الحادية عشرة عند الشهاب الخفاجي (المتوفى 1069 م) ، وقد أخذ بذلك الزبيدي في تاج العروس وذكر نسبته له .⁽²⁾

" فالاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول " و " الاصطلاح إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما " و قيل: " الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى " و قيل : " الاصطلاح إخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد " وقيل : " الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين " ⁽³⁾ . وفي ذلك إشارة إلى أهمية اتفاق العلماء في شتى الحقول العلمية والدراسات اللغوية على إعطاء كلمة ما دلالة جديدة .

وقد قاد التفجر المعرفي في العصر الحديث إلى نشوء " علم المصطلحات " وهو علم يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية و المصطلحات اللغوية التي تعبر عنها النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها. (4)

ولقضية المصطلح العلمي أهمية كبيرة عند العرب لأنها تعكس على قضية أخرى خطيرة ومصيرية في حياة الأمة العربية وهي " تعريب العلوم " . ثم إن المصطلح العلمي يحقق في نقل العلوم ما لم تستطع تحقيقه العبارة الوصفية ، كما أنه يمتلك ميزة أخرى أيضا هي الاختصار ، ويعين ناقل العلم (المترجم أو المعرب أو المقتبس) على التناول المنهجي لأية قضية علمية يقوم بنقلها.

فلا يعيب أمة من الأمم أن تنقل المعرفة عن غيرها لأن هذه المعرفة هي ملك الإنسانية كلها ، ولم يحدث في التاريخ أن تصدرت أمة ما قيادة أم أخرى الوقت كله ، بل هناك دائما صعود وهبوط، ولعل ما يعيب الأمم حقا هو ألا تحاول الأخذ من منارات المعرفة أينما كانت وألا تحاول المساهمة فيها و الصعود مرة أخرى إلى درجة أعلى بين الأمم ، وإن حرية الفكر و البحث العلمي تستلزم – كما يقول الدكتور مذكور – حرية التعبير عن هذا الفكر فيكون العالم حرا في اختيار اللفظ الذي يؤدي المعنى المراد ، وتاريخ العلم يؤكد أن العلماء لم يكشفوا الحقائق وحدها ، بل قدموا ما استطاعوا وسائل التعبير عنها، وهكذا سار تطور العلم وتطور مصطلحاته معا . (5)

وقد بذل علماء اللغة العربية جهودا مشكورة في مجال توفير المصطلح العلمي العربي قديما وحديثا من خلال تطوير العربية لاستيعاب العلوم والمبتكرات، ومازالوا في هذا المجال الذي يتطلب تكاتف الجهود للوقوف في وجه المدّ الغزير الذي تفرضه الحضارة المعاصرة.

و للمصطلح العلمي العربي قصة ضاربة في القدم ، فقد ظهرت مع ظهور الإسلام عندما احتاج الدين الجديد الذي ظهر في القرن الخامس الميلادي إلى مصطلحات جديدة لتحديد المفاهيم الحديثة و لوضع الأحكام العامة و القواعد الرئيسية ، وذلك لأن هذه الأحكام وتلك القواعد قد اختلفت عما ألفه العرب من عادات وتقاليد قبلية ، وعلى هذا فإن هناك مصطلحات قد حدد الإسلام مفاهيمها وحصر استخدامها . ولعل الناظر في كتب مثل (المتوكلي) للسيوطي و (الفهرست) لابن النديم و (التعريفات) للجرجاني و (مفاتيح العلوم) للخوارزمي و (شفاء الغليل) للخفاجي، وغيرها من الكتب ليتأكد من عظمة اهتمام علماء المسلمين في حركة الترجمة والتعريب العظمى التي تمت في العصرين الأموي والعباسي وما بعدها بقليل، ذلك أن اهتمامهم بدقة المصطلحات وتحديد المعاني وصلت إلى شرح المصطلح إذا كان جديدا على العربية، حتى أنهم كذلك قد أطلقوا مصطلحات على تراكيب في عضو ما توافقا مع ما هو معروف في أعضاء أخرى لتشابه الوظيفة أو العمل بينهما، ففي طب العيون مثلا : تذكر " المشيمة ، الشبكية، العنكبوتية، والقرنية "

في العين، وهذه أسماء لأشياء أخرى في البدن ، لكن تشابه العمل أدى إلى اقتراس المصطلح واستعماله في طب العيون (6)... وهكذا.

فهذا التراث اللغوي العربي غني، وقد عبر عن كل ما يشاهده الإنسان وما يفكر فيه أو يحسه فتناول أفراده وأتراحه وصحته ومرضه ، وظواهر الطبيعة ومكونات الأرض وطبقات الجو واتجاهات الرياح وأحوال المياه في البحار والأنهار ..الخ وهذا التراث الزاخر يمكن أن يمد العلماء والباحثين ببعض ما ينشدونه من مصطلحات علمية في مختلف المجالات

وقد اعترف المؤرخون للحضارة العربية والإسلامية أن هذه الحضارة قد بلغت مدى بعيدا من الرقي في العصور المتقدمة و الوسطى ، وأن نور هذه الحضارة حمله وأذكاه متخصصون في كل علم وفن : منهم الأطباء من أمثال الفارابي والرازي وابن سينا وابن النفيس.

ومنهم الرحالة والجغرافيون من أمثال: ابن بطوطة والمقدسي والاصطخري وابن جبير والإدريسي.

ومنهم من جاب البحار ودرسها كابن ماجد . وتخصص كثيرون في الإلهيات كابن رشد والغزالي وابن عربي . ويبرز في علم الاجتماع اسم ابن خلدون شامخا بين المشتغلين بهذا العلم قديما وحديثا ، ولم يغيب عن تراثنا كثير من علماء الفلك و الطبيعة كالخوارزمي و البيروني ، وما زالت نظريات ابن الهيثم في الرياضيات موضع تقدير العلماء حتى عصرنا هذا. وقد ترك هؤلاء وغيرهم تراثا علميا مجيدا بقي منه حتى اليوم ما يدل على مساهمتهم الجادة والأكيدة في الحضارة الإنسانية ، ولاشك أنهم خلعوا على هذا التراث العلمي الروح العربية والإسلامية في مادته ومصطلحاته، إذ حدّدوا مصطلحات بعض العلوم التي وجهوا إليها اهتمامهم الشديد كالنحو و الحديث ففي النحو كتب تحمل اسم " حدود النحو " للرماني والحدود النحوية للفاكهي وهذان من كتب المصطلحات... الخ

ومن هذا النوع نفسه كتب " مصطلح الحديث " ، وهي كثيرة ، وقد تنبه التهانوي لأهمية المصطلح العلمي فألف كتابه المشهور " كشف اصطلاحات العلوم و الفنون "، ومثله " جامع العلوم " الملقب بـ " دستور العلماء " لعبد النبي الأحمد فكري . (7)

وقد كثرت المصطلحات العلمية العربية مع تنوع جوانب المعرفة العربية واتساع الأفق العلمي في القرن الثالث و القرون التالية، لكنها _ للأسف الشديد _ كانت خارج إطار اهتمام المعاجم العربية العامة فقد أعرض اللغويون عن أغلب الألفاظ التي جدت في اللغة ولاسيما على عهد العباسيين بحجة أنها من استنباط المولدين لم تجر على ألسنة العرب الخلاء ، فإذا تمثلت ذلك العصر بجميع جوانبه الحضارية وعرفت أن أبناءه لم يعجزوا عن استنباط كلمات لجميع المعاني والأغراض التي تولدت عندهم،

أكبرت الخطب الذي أنزله باللغة أرباب المعاجم لإسقاطهم منها تلك الكلمات المولدة التي لو بقيت لكانت أنفس قلادة في جيد هذا اللسان الشريف. (8)

فإن اللغويين في القرون الأربعة الأولى على الخصوص تقيّدوا بجمع اللغة عن طريق المشافهة، وفضّلوا ما تفوّه به البدو دون الحضّر، وما نطقت به قبائل معينة دون قبائل أخرى، ثم دخلت المعاجم مع المتأخرين في فترة صار اللاحق يقلّد فيها السابق، ولم تعد المادة المعتمدة حيّة يجمعها اللغويون من الناطقين بلسانها، بل عاد اللاحق ينقل من غيره من الأسلاف في عصر التدوين ويتجاهل ما جدّ من ألفاظ المظاهر الحياتية ومصطلحات العلوم التي ابتكرت وسرت على يد علماء كبار في الطب و النبات والرياضيات والفلك والتاريخ والجغرافيا وغيرها من العلوم .

وهذه القطيعة مع المادة الحيّة المتوافرة عند متكلمي اللغة ومستعمليها بدعوى فساد لسانهم، واعتماد النقل من المصادر التي سمع أصحابها من الأعراب في الجاهلية وصدر الإسلام على الخصوص جعلت المعجمية العربية تنقطع عن واقعها وتفقد دورها الأساسي في تمثيل الثقافة والحضارة القائمتين، وكذلك الخصائص الفعلية و الحالية للمفردات ومعانيها المستحدثة، والمصطلحات الجديدة الموضوع منها والمنقول. (9)

لهذا تعتبر قضية المصطلح العلمي من أهم قضايا تنمية اللغة العربية للوفاء بمتطلبات الحياة المعاصرة وذلك في ضوء مجموعة من المتغيرات أهمها كثرة الإنتاج المعاصر في المجالات العلمية والتقنية وتعدد التخصصات المعرفية وضرورة التعبير باللغة العربية عن ذلك الفيض من المصطلحات العلمية و التقنية التي وضعت أساسا في اللغة الأوربية و ينبغي علينا إيجاد المقابل المناسب لها بالعربية .

وقد بدأت قضية المصطلح العلمي العربي في العصر الحديث تطرح لأول مرة في إطار حركة الترجمة و التأليف في الربع الثاني من القرن التاسع عشر ، تتضح هذه البدايات في مؤلفات رفاعة الطهطاوي (1801 - 1872م) ، وخير الدين التونسي (1810 - 1879م) . كما تظهر أيضا في الدوريات التي بدأت بإصدار الوقائع في مصر (1828م) ثم في الدوريات العربية الأخرى التي زادت بعد ذلك بصورة واضحة . ويلاحظ في وضع المصطلحات الحديثة ارتباطها في جانب منها بجهود فردية في كتب ألّفت تعريفا بالحضارة الأوربية وبالنظم الحديثة ، أهم هذه الكتب : " تخليص الإبريز في تليخيص باريس " لرفاعة الطهطاوي ، و " أقوم المسالك " لخير الدين التونسي .

وكان ثمة تعاون بين المعنيين بالترجمة و التأليف في داخل القطر العربي الواحد على نحو ما وجد في مدرسة الألسن التي أنشئت بالقاهرة 1835م لتكون مركزا للترجمة حيث تمت في عصر محمد علي باشا في مصر ترجمة 114 كتابا إلى العربية بجهود من تخرجوا فيها فارتبطوا بها وتعاونوا في الترجمة ، وفي هذه المرحلة المبكرة كانت المصطلحات العربية في كتب التراث مصدرا مهما لإيجاد المصطلحات الحديثة

في مصر وتمثلت في الاعتماد على التراث الطبي في إعداد بطاقات معجم " الشذور الذهبية في المصطلحات الطبية " لمحمد بن عمر التونسي (1804م - 1874م) للإفادة منه في ترجمة كتب من الفرنسية إلى العربية .

ويلاحظ في جهود هذا الجيل أنه قد تعددت وسائل وضع المصطلحات الحديثة بين التغير الدلالي والاشتقاق والترجمة المباشرة ، وكان الطهطاوي ومعاصروه على وعي بضرورة تنمية المعجم العربي بالمصطلحات وقد عبر عن ذلك في مقدمة طويلة لترجمة كتاب: قلائد المفاهر (1849م - 1833م).⁽¹⁰⁾

وقد وضع بعض العلماء العرب منذ مطلع النهضة العربية الحديثة و حتى اليوم منهجيات في المصطلحية ، فالأمير مصطفى الشهابي وضع منهجيته المصطلحية ضمن كتابه "المصطلحية العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث" ، والدكتور جميل الملائكة وضع منهجيته المصطلحية في مؤلفه " في أساليب اختيار المصطلح العلمي ومتطلبات وضعه " .

وأحمد الأخضر غزال وضع منهجية مصطلحية في " المنهجية الجديدة لوضع المصطلحات العربية "، كما وضع أحمد شفيق الخطيب منهجية ارتأها للمصطلحات العلمية ، خاصة مصطلحات العلوم، هذا إلى جانب المنهجيات المصطلحية التي وضعتها المجامع اللغوية والعلمية المتعددة في بعض البلاد العربية.⁽¹¹⁾

و كان رؤاد النهضة العربية الحديثة من المفكرين و الأدباء و اللغويين والعلماء المجددين شاعرين شعورا قويا بما صارت إليه اللغة العربية من ضيق معجمها بمطالب الكتاب والمعرّبين، يستوي في ذلك ما يتصل بألفاظ الحضارة أو المصطلحات العلمية. وقد تجلّى ذلك فيما بذلوه من جهود فردية أو جماعية في توفير المصطلح العلمي العربي.

- الجهود الفردية : وتمثّلت في :

1 - أحمد فارس الشدياق (1804م - 1887م) :

ويعد أحمد فارس الشدياق أول من طرح موضوع المصطلحات للتفكير المنهجي في العصر الحديث.⁽¹²⁾ فقد شغلته قضية المصطلح العلمي العربي لذلك دعا سنة 1860م في مجلة الجوائب إلى عمل جماعي لتعريب مصطلحات العلوم و الفنون.⁽¹³⁾ كما تولى وضع الكلمات العربية المقابلة للكلمات الأجنبية والتي لا يزال الكثير منها يستعمل إلى يومنا من خلال صحف " الجوائب " أيضا .⁽¹⁴⁾

إن حماس الشدياق لتنمية اللغة العربية بالتوليد والاشتقاق والنحت ودعوته إلى إقرار الألفاظ المولّدة كان نتيجة شعوره بحاجة اللغة العربية الماسّة إلى الاستجابة للمقتضيات الفكرية و الحضارية للعصر الحديث

، وعلى هذا أعطى لنفسه حرية توليد ألفاظ ومصطلحات كثيرة أدرجها في كتابه " الواسطة في معرفة أحوال مالطة " وكتابه " كشف المخبا عن فنون أوربا " . (15)

2 - إبراهيم اليازجي (1847م - 1906 م) :

كما أن القضية التي أخذت جانبا كبيرا من اهتمام الشيخ اليازجي وشاركه فيها أيضا بعض كتّاب عصره كانت قضية تنمية اللغة العربية . (16) حيث ترجع شهرته في المقام الأول إلى ما ولّده من ألفاظ لمسمّيات حضارية حديثة ، فقد كان كثيرا ما يولّد كلمات عربية عن طريق الاشتقاق أو نقل الدلالة لما يدل على هذه المخترعات . (17)

و اليازجي يرى أن اللغة تابعة لأحوال المجتمع ومبلغ الأمة من الحضارة وما هي عليه من التبسط في العمران و التفنّن في مذاهب الترف و التوسع في المدارك العلمية و الصّناعية وما يختلف عليها من الأحوال السياسية و الدينية ، إلى ما يتصل بهذه الأطراف و ما يتشعّب عنها.

لهذا فإنه " لا يستقيم - مع تجدد اللغة بتجدد الحاجات - أن يمنع المتأخر مما أتيح للمتقدم ، لأن لكل عصر لغته كما أن لكل عصر أهله ، وإنما اللغة لمن أفضت إليه وكانت في عهده ، وربما هو المتأخر الذي به حياتها و الذي إنما يتّخذها للعبارة عن أحواله وأغراضه لا للمقتدّم الذي درج ودرجت أحواله معه ، فنحن الآن منزّلون منزلة المتقدّمين بعينها ، ونحن وهم في أمر الوضع فيه سواء نصرف أعنّتنا كيف شئنا وشاءت حالة العصر " . (18)

3 - أنستاس ماري الكرملّي (1866 - 1947م) :

أما الكرملّي فأهم موقف تميز به هو موقفه من المصطلحات العلمية والفنّية والصناعية والعمرانية التي تكوّنت في اللغة العربية على مدى القرون فهي في رأيه رصيد أساسي مهم بالنسبة لتاريخ العربية ، وهو يرى استخدام العرب للكلمات الدخيلة من اللغات الأوربية في العصر الحديث غير مبرر وذلك لأن في العربية ألفاظا تكفيها مؤونة الاستعارة من غيرها من اللغات . (19)

4 - معروف الرصافي (1877 - 1945 م) :

وتناول معروف الرصافي قضية المصطلحات وألفاظ الحضارة عن طريق إعادة النظر في المصطلحات المتداولة منذ العصر العثماني ، حيث كان الترك قد وضعوا كثيرا من المصطلحات الإدارية اعتمادا على كلمات عربية وذلك عن طريق التغير الدلالي أو الاشتقاق ، ذلك أن العربية كانت اللغة المصدر التي تؤخذ من كلماتها وموادها وأوزانها المصطلحات المنشودة ، وهكذا تكونت مصطلحات كثيرة في الدولة العثمانية ، واستخدمت في كل أنحاء الدولة ومنها الأقاليم العربية ، وقد لاحظ الرصافي وغيره أن هذه

المصطلحات لا تطابق بالضرورة قواعد اللغة العربية ، كما تختلف دلالاتها الجديدة عن دلالاتها القديمة ، ولأجل إزالة أدران هذه المصطلحات العثمانية كتب معروف الرصافي كتابه " دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة " وهو من كتب التصويب اللغوي . (20)

5 - أحمد تيمور (1871م - 1930 م) :

كما كان أحمد تيمور من المهتمين بقضية تنمية اللغة العربية في العصر الحديث ، فقد وضع كتاب " البرقيات " الذي يبدو من خلال عنوانه أن مؤلفه أراد أن يحيي بعض الألفاظ العربية القديمة التي يمكن أن تستعمل في كتابة البرقيات و المقالات ، فاستعمله لكلمتي البرقيات والمقالات وهما كلمتان مولدتان يوحي بأن تيمور قد أراد بإثبات هذا النوع من الكلمات في هذا المعجم الصغير أن ينبّه إلى أن هناك بعض الاستعمالات التي يمكن استغلالها في العربية الحديثة وخاصة في كتابة البرقيات والمقالات ، إذ هما بحكم طريقة الكتابة تحتاج كل منهما إلى ألفاظ مختصرة معبرة عن غرض الكاتب سواء كان يكتب برقية أم مقالة .

وهو في هذا الكتاب يلفت النظر إلى بعض الاستعمالات المولدة في بعض الألفاظ الاصطلاحية وهذا يؤكد أن هدفه من وراء هذا الكتاب هو طرح مادة لغوية قديمة يمكن أن تستعمل في العربية الحديثة بدلالاتها القديمة أو بدلالات جديدة ، وبهذا يسدّ بعض النقص في العربية الحديثة للتعبير عن ألوان الحضارة .

وفي كتابه " أعلام المهندسين في الإسلام " هذا الكتاب الذي يبدو من عنوانه أنه كتاب في تراجم المهندسين العرب و المسلمين ، يتضح بعد التدقيق فيه أن الهدف اللغوي الذي قصده تيمور هو تزويد العربية الحديثة بذخيرة من الألفاظ الاصطلاحية القديمة في الهندسة والعلوم و الفنون . (21)

6 - الأمير مصطفى الشهابي (1893م - 1968 م) :

يعتبر الأمير مصطفى الشهابي من العلماء القلائل الذين سَخّروا جهودهم لتوفير الكثير من المصطلحات العلمية ، خاصة في علوم : النباتات والحيوان والمعادن ، و قد أعطى لعلم النبات اهتماما خاصا بحكم تخصصه في هذا المجال ، كما أنه كان أيضا من الرواد الذين التفتوا إلى أهمية استعمال التوليد والألفاظ المولدة في لغة العلوم ، فكتب مقالات عديدة في مجلتي مجمع دمشق ومجمع القاهرة يلفت فيها النظر إلى أهمية اتخاذ الألفاظ المولدة وإقرار الصالح منها في لغة العلوم خاصة . (22)

ولكي يسدّ النقص في مصطلحات العربية وضع معجمه في الألفاظ الزراعية ، هذا المعجم الذي يعتبر بحق قمة أعمال الشهابي في خدمة اللغة العربية الحديثة وتميمتها ، وهو معجم فرنسي عربي للألفاظ الزراعية الحديثة في كافة مجالات هذا العلم كالزراعة العامة ، وزراعة البساتين ، وتربية الخيل و الماشية و النحل و السمك و الطيور .. وما له صلة بالزراعة من نبات وحيوان وحشرات .. الخ . (23)

- الجهود الجماعية:

والى جانب هذه الجهود الفردية التي حملت على كاهلها عبء توفير المصطلح العلمي العربي، وتنمية اللغة العربية الحديثة لمسايرة مستجدات العلوم و الفنون الحديثة المختلفة، قامت جهود جماعية بتولي هذه المهمة، وقد تمثلت هذه الجهود الجماعية في :

1_ المجامع اللغوية العربية:

فقد أنشئت في الوطن العربي مجامع للغة العربية بدمشق وبغداد وعمان و القاهرة أوكل إليها- بالإضافة إلى حفاظها على سلامة اللغة العربية ، وحفظ التراث العربي- خلق لغة علمية عربية تفي بمطالب العلوم الحديثة و الفنون ، وتلائم حاجات الحياة في العصر الحديث ، وتساهل اللغات العلمية الحية المعاصرة ، وقد أجمعت هذه المجامع العربية كلها على صلاحية اللغة العربية لأساليب اللغة العلمية المعاصرة ومتطلباتها ببسر وطلاقة كما فعلت في الأمس البعيد ، وظهرت باكورة إنتاج هذه المجامع العلمية الحديثة في شكل معاجم علمية ومؤلفات ومترجمات أثرت اللغة العربية بعشرات أو مئات الآلاف من الألفاظ و المصطلحات العلمية ما بين مترجم و معرب ومولد ودخيل .(24)

2_ إتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية :

وقد أدى تعدد المجامع اللغوية العربية إلى ضرورة التنسيق بينها من أجل العمل المتكامل في مجال المصطلحات وألفاظ الحضارة إلى جانب المجالات الأخرى التي تهتم بها المجامع اللغوية، وقد تم في 30 أبريل 1970 م التوقيع على مشروع النظام الأساسي لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ومقره القاهرة ، ويتألف من مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ومجمع اللغة العربية في دمشق، والمجمع العلمي العراقي في بغداد ، ومجمع اللغة العربية الأردني ، وينظم إليه كل مجمع لغوي تنشئه دولة عربية مستقلة و يوافق مجلس الاتحاد على قبوله. وهدف اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية التنسيق بين عمل هذه المجامع في القضايا المتصلة باللغة العربية بصورة عامة، والعمل بصفة خاصة على توحيد المصطلحات العلمية الفنية والحضارية ونشرها، وهذا الهدف يعمل على تحقيقه أيضا مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي.(25)

3 _ مكتب تنسيق التعريب بالرباط (1961 م) :

ويختلف عمل المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي عن عمل المجامع اللغوية في أن المكتب لا يقوم بالتعريب بقدر ما يقوم بالتنسيق بين الجهود العربية المختلفة في إطار خطة شاملة، كما

يخطط مكتب تنسيق التعريب لمعجمات عن طريق الانطلاق من المعجمات الحديثة لهذه المصطلحات في اللغات الأوروبية ، ثم عن طريق البحث عن المفردات المناسبة لها في اللغة العربية، وتعرض مشروعات المعجمات المتخصصة التي تضم هذه المصطلحات مع المقترحات المختلفة لتعريبها مع مؤتمرات التعريب حيث يلتقي اللغويون والعلميون لبحث هذه المصطلحات واختيار أنسبها، وقد تم انجاز عدد كبير من المعاجم التي أقرت في مؤتمرات التعريب .

ومن أوائل هذه المعجمات : معجم الرياضيات ، معجم الفيزياء ، معجم الكيمياء، معجم الجيولوجيا ، معجم النبات ، معجم الحيوان ، أما المعجمات الفردية الكثيرة فينشرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب تارة في مجلة " اللسان العربي " وتارة في طبعاات مستقلة منها : معجم الفقه و القانون ، ومعجم الاقتصاد ، ومعجم أسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم .. (26)

ورغم كل ما بذل في سبيل توفير المصطلح العلمي العربي تبقى هذه القضية مشكلة تواجه المؤلفين و المترجمين ، وهم منه بين خيارين : وضعه أو نقله ، ويتطلب الموقف الأول - وضعه - أن يجدوا الوسائل اللغوية التي تعينهم على العثور على المصطلح المناسب بعد جهد قليل ، ويتطلب الموقف الثاني - النقل - أن يتعرفوا على بعض الأسس والمبادئ التي تعين على الصياغة ليصير المصطلح المنقول منسجما مع طرائق العربية في صياغتها ، مألوفاً للأذن العربية في جرسه وبنيته. (27)

فالبحت العلمي في اللغة العربية لايزال يتصف بصفات جد سلبية بالنظر إلى ما يعرف العصر من تكنولوجيا حديثة تطبق على البحوث اللغوية بنجاح تام في البلدان الراقية ، وبالتالي تعذر الاستجابة لمتطلبات العصر من وضع مصطلحات وغيرها من الأعمال الخاصة بتكييف اللغة وإثرائها وذلك راجع إلى أمور ثلاثة هي : (28)

1 - اعتبارية العمل عند الكثير من اللغويين أي: عدم خضوعه لضوابط علمية، وذلك بعدم مراعاته لمعطيات العلوم اللسانية الحديثة بصفة خاصة، و منهجية العلوم الاجتماعية بصفة عامة .

2 - حرفيته أي : اقتصره على البحوث الفردية التي هي أشبه شيء بالصناعات التقليدية ، يعتمد فيه على المعالجة اليدوية ، كالنظر الجزئي في القواميس والاقتصار على جرد العديد من المعلومات بالأيدي العزلاء ... الخ.

3 - عدم شموليته بعدم الرجوع إلى كل المصادر العربية التي يمكن الاستفادة منها وخاصة المخطوط منها، وجميع المراجع الأجنبية التي يمكن استغلالها لتحديد المفاهيم الحديثة.

لهذا يجب تكثيف مختلف الجهود وتيسير انساب الظروف التي تسمح بخلق مناخ خصب يعمل على تزويد اللغة العربية بحاجتها من المصطلح العلمي حتى تترجم هذه اللغة الجديد العلمي والمعرفي في شتى المجالات فلا تشكو قصورا ولا ترمى بسهم العجز والتخلف أو توسم بأنها لغة غير علمية .

فالطموح إلى عزة ما بعدها عزة يقضي علينا بأن نعيد علم الطب وسائر العلوم و الفنون إلى لغتنا العربية، فإن هذه اللغة تسمح بما أتاها اللغة من غزارة العلم وحكمة المقاييس كل ما تدركه العقول و الأبصار، ولم يبق علينا إلا أن نرجع إلى معجمات ومصطلحات علمائنا ومقاييس لغتنا ، ونتعاون على أن تكون مصطلحاتنا العلمية واحدة .(29)

كما علينا أن نفتش في تراثنا القديم عن جهود العلماء ذوي الاختصاص فيما استخدموه من المصطلحات العلمية ، وما استعمله العرب من كلمات صالحة للاستخدام في العلوم، ثم نلجأ إلى وسائل الصياغة التي أقرها أيضا ذوو الاختصاص من علماء اللغة قديما وحديثا للحصول على ما يعوزنا من مصطلحات جديدة ، فإذا لم يسعفنا هذا ولا ذاك كان التعريب - بشروطه - آخر الحصون التي تلجئنا إليها الضرورة. (30) على أن يتوفر المتخصصون في العلوم المختلفة في وقتنا الحاضر على استخراج مصطلحات علومهم من تراثنا هذا الغنى الزاخر، فتجمع وترتب وتضمها معاجم متخصصة تكون تحت أيدي الباحثين و المؤلفين في كل فرع من تلك العلوم ، فيستخرج الأطباء المصطلحات الخاصة بهم من المؤلفات العربية في الطب ، ويبحث علماء الفضاء و الأحوال الجوية عن مصطلحات لهم في مؤلفات علم الفلك وكذلك بقية العلوم . (31)

كما أن الذي يعوز اللغويين في مشكلة الألفاظ الجديدة هو عرضها عرضا كافيا لإشاعتها و لا ننسى أن ما ذاع من الألفاظ في فجر النهضة العربية الحديثة كان وليد حماسة الكتاب له وإقبالهم عليه ، وعلى الهيئة اللغوية المشرفة أن تتفنن في عرض الألفاظ على الجمهور بمختلف الوسائل و في مقدمتها الصحف و المجلات ، وبالتكرار يتسنى للجمهور أن يغربل ما يعرض عليه وأن يأخذ ما يوائم ذوقه ، فلا يلبث كثير من هذه الألفاظ الجديدة أن يشيع ويدخل في صميم اللغة السارية . (32)

" والحق أن لغتنا العربية قد درجت مع أسلافنا وسائرتهم في حضارتهم و جرت معهم في ذلك شوطا بعيدا اتسعت ونمت فيه لكل ما أرادوها ، وهي اليوم بين يديها حضارة ذات ألوان مختلفة لم تنبت في أرضها أو بيئتها بحيث تخرج وعليها طابع العربية ووسمها ، بل هي حضارة غريبة عنا بأسماء أعجمية المبني والمعنى وكان لابد أن نتصل بتلك الحضارة فاتصلنا بها ونحن على بعد من لغتنا والإلمام التام بها، بل لقد كان منا من بصره باللغات الأجنبية يزيد على بصره بالعربية ، والمتداول من هذه اللغة كان ولا يزال قلة من كثرة وقطرة من نبع ، ولذا كان شعورنا دائما أمام ذلك الفيض الأجنبي من الكلمات العجز نرمي به لغتنا والنقص نتجنى به أحيانا عليها " . (33)

فقد جاء العصر الحديث بحضارته المعقدة ووجدنا أنفسنا مدفوعين إلى أخذ هذه الحضارة ولاسيما ما يتصل بالتكنولوجيا الحديثة، وإذا بنا لا نملك لغة تتسع لهذه الحضارة الجديدة ولذلك كان علينا أن نجعل من لغتنا وسيلة صالحة للإعراب عن هذه الحضارة الجديدة ، وهذا ليس بكثير عليها أن تنهض به فقد كانت هذه اللغة لغة العلم في العالم القديم خلال قرون عدة. ⁽³⁴⁾ فالناس في حياتهم اليومية يحتاجون كل يوم إلى مئات الألفاظ الجديدة للتعبير عن المعاني المستحدثة والمبتكرات المستجدة ولاشك في أن الاعتماد على ألفاظ عصر الاحتجاج والقياس عليها يقصران في كثير من الأحيان أمام حاجة العصر للألفاظ الجديدة. ⁽³⁵⁾

و الحقيقة أن التوليد اللغوي هو حركة نمو متصلة الأسباب تكاد لا تنقطع في زمن من الأزمنة غير أنها تختلف قوة واتساعا من عصر إلى عصر ، ولعل العصر الذهبي للعربية أيام بني العباس ، وعصر النهضة الحديثة منذ بداية القرن التاسع عشر هي أكثر عصور العربية إنتاجا في هذا المضمار، ففي كليهما نشأت حاجات فكرية واجتماعية دفعت الأقلام والألسنة إلى توليد كثير من الألفاظ لسد تلك الحاجات وهذه الألفاظ لم ترو عمن يحتج بكلامهم من العرب القدماء .

وهنا نلاحظ أن نظرة اللغويين القدماء إلى هذه المولدات يختلف عن نظرة المحدثين، فالقداامي - فيما عدا الشهاب الخفاجي - لم يفتحوا لها حرم اللغة للدخول ضمن الثروة اللغوية ولذا بقي معظمها خارج هذا الحرم موسوما بكلمة " مولّد " وكانوا أحيانا إذا ذكروا المولّد ذكروه على أنه غير عربي الأصل ، وهكذا لم يعتد اللغويون القدماء بالتطور اللغوي عن طريق التوليد ولو ورد هذا المولد في كلام كبار الكتاب والشعراء، وظل الأمر على هذا النحو حتى بداية النهضة الحديثة حين كان الشعور بضرورة مسايرة اللغة للفكر واضحا منذ بدء هذه النهضة فوق عتب تطوير العربية لمسايرة الفكر والحضارة الحديثة على كاهل الأفراد في البداية ثم تولته بعد ذلك في المرحلة الأخيرة و المعاصرة المجامع اللغوية بعد إنشائها. ⁽³⁶⁾

لهذا أصبحت مسألة المصطلح العلمي مما يعيرون به اللغة العربية لافتقارها له ، فلاشك أن هناك آلاف المصطلحات التي لا وجود لها في العربية ولكن ذلك ليس من ضعفها وقصورها ، فكل اللغات الحية كانت خالية من آلاف المصطلحات الجديدة التي ظهرت خلال ربع القرن الأخير .

فقد أتى الإسلام بجيد مبتكر لا عهد للعربية به ، فقلب أوضاع العرب وغير العرب ممن دخلوا فيه ، فاتخذ مصطلحات جديدة تعد بالمئات انتزعها من العربية نفسها انتزاعا ووضع فيها معانيه الجديدة التي تغلبت على المعاني القديمة وأخفتها لتحل محلها ، كالصلاة و الصيام والحج والعمرة والفقہ والقرآن و السنة .. الخ .

ونجحت العربية أيما نجاح عندما اتسعت لمعاني الإسلام وكل ما صاحبه من تغيّر في العقيدة والشريعة والأخلاق والعادات والسلوك ، ثم جاءت تجربة عمر بن الخطاب عندما استحدث في الإسلام الدواوين والإدارات والإحصاء والتدوين مما لا عهد للعربية والعرب بها ، فلم تجمد العربية بل اتسعت لهذه التجربة

دون أي قصور مع أن عملا كهذا يعد امتحانا عسيراً لأية لغة في جميع العصور، ثم جاءت تجارب العلوم العربية و الدينية من عروض ونحو وصرف وبيان وبلاغة وفقه وتوحيد مصطلح فكانت العربية عظيمة القدر والصالح لمصطلحات هذه العلوم.

وجاءت تجارب النقل والترجمة والتأليف في علوم لا عهد للعربية بها كالكيمياء و الطبيعة و الهندسة والجبر والرياضيات و الحساب و الجغرافيا و الطب والبصريات والميكانيك و المعادن والزراعة والتجارة والاقتصاد والسياسة والحكم ، فإذا العربية تتسع لها اتساعا عجيبا ، وإذا ظنّ بها اليوم قصور فما هو فيها، بل القصور في أهلها لأنهم لم يشاركوا في مخترعات الحضارة الحديثة ولو شاركوا لوضعوا أسماء لها . (37)

فالحاجة إلى المصطلح العلمي قائمة في كل لغة وهي مطلوبة ملتزمة كلما حدث جديد في العلوم و الفنون، ولا ينقطع الجديد مادام الفكر الإنساني نشيطا عاملا، ولذلك كان لكل علم أو فن مصطلح خاص ، وإذا كان العلم متطورا حافلا بالجديد في كل عصر كان على المختصين أن يهيئوا الأدوات اللغوية اللازمة للتعبير عن هذا الجديد . (38)

وهذا ما على الغياري على اللغة العربية عمله ،فجهدهم وحده هو الذي خدم هذه اللغة في الماضي فزوّدها بثروة مصطلحية جعلت من هذه اللغة خير مترجم لعلوم القدامى من العرب وغيرهم، وخير سفير حفظ هذا التراث الحضاري والعلمي لينقله بأمانة إلى العصر الحديث ، وجهدهم وحده هو الذي سيخصّص لهذه اللغة المكانة الهامة التي تستحقها بين بقية لغات العصر الحاضر عصر الانفجار العلمي والمعرفي .

الهوامش:

- 1- **جمعية المعجمية العربية بتونس** : وقائع ندوة إسهام التونسيين في إثراء المعجم العربي ، تونس 1، 2، 3 ، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، مارس 1985 م . (ص99_100)
- 2- **عبد الأمير محمد أمين الورد (دكتور)** : المصطلحات العلمية ، كيف نضعها ؟ وكيف نوحدّها ؟ ومسؤولية المجامع في ذلك ، اتحاد الجامعات العربية ، ندوة تعليم اللغة العربية ، الجزائر ، 5 - 7 رجب 1404 هـ / 7 - 8 أبريل 1984 م ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، بدون تاريخ (ص1)
- 3- **الجرجاني (علي بن محمد)** : التعريفات، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1408 هـ/1988م. (ص28)
- 4- **علي القاسمي (دكتور)** : المصطلحية (علم المصطلحات) النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها، مجلة اللسان العربي، المجلد 18، ج1، الرباط 1980م (ص9)
- 5- **حسن عبد العزيز (دكتور)** : الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1413 هـ / 1992 م . (ص30)
- 6- **كارم السيد غنيم (دكتور)** : اللغة العربية والصحة العلمية الحديثة، مكتبة ابن سينا، القاهرة بدون تاريخ. (ص155 _ 157)

- 7- محمد عيد (دكتور) : المظاهر الطارئة على الفصحى، اللحن، التصحيف، التوليد، التعريب ، المصطلح العلمي، عالم الكتب، القاهرة 1980 م . (ص144_145)
- 8- البستاني (الشيخ عبد الله البستاني) : البستان معجم لغوي مطول ، الطبعة الأولى ، مكتبة لبنان 1992 م . (ص46)
- 9- عبد القادر الفاسي الفهري (دكتور) : المعجم العربي نماذج تحليلية جديدة، الطبعة الأولى، دار توفيق للنشر، الدار البيضاء، المغرب 1986 م . (ص18_19)
- 10- محمود فهمي حجازي (دكتور) : اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة 1998 م . (ص37_39)
- 11- كرم السيد غنيم (دكتور) : اللغة العربية والصحة العلمية الحديثة(ص131)
- 12- محمود فهمي حجازي (دكتور) : اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات .(ص40)
- 13- مجمع اللغة العربية الأردني: الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني، الطبعة الأولى، عمان، الأردن 1403هـ/1983م (ص150)
- 14- عمر الدسوقي : نشأة النثر الفني وتطوره ، الجزء الأول ، مطبعة الرسالة 1962 م .(ص52)
- 15- أحمد فارس الشدياق : الواسطة في معرفة أحوال مالطة وكشف المخبا عن فنون أوربا، الطبعة الثانية، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية 1299 هـ .
- 16- حلمي خليل (دكتور) : المولد في العربية دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام ، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان 1405 هـ / 1985 م .(ص549)
- 17- المرجع نفسه (ص546)
- 18- حسن عبد العزيز (دكتور) : الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة .(ص13)
- 19- محمود فهمي حجازي (دكتور) : اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات. (ص51)
- 20- المرجع نفسه (ص52)
- 21- حلمي خليل (دكتور) : المولد في العربية دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام .(ص562_565)
- 22- المرجع نفسه (ص568_569)
- 23- المرجع نفسه (ص572)
- 24- مجمع اللغة العربية الأردني :الموسم الثقافي الرابع لمجمع اللغة العربية الأردني، الطبعة الأولى 1407 هـ / 1986. (ص10)
- 25- محمود فهمي حجازي (دكتور) : اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات .(ص60_61)
- 26- المرجع نفسه (ص62)

- 27- محمد عيد (دكتور) : المظاهر الطارئة على الفصحى، اللحن، التصحيف، التوليد، التعريب، المصطلح العلمي.(ص136_137)
- 28- عبد الرحمان الحاج صالح : مقال " اللغة العربية وتحديات العصر في البحث اللغوي وترقية اللغات " ، مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2001م.(ص25_26)
- 29- محمد الخضر حسين : دراسات في العربية وتاريخها ، جمعه وصححه علي رضا التونسي ، الطبعة الثانية، الناشر المكتب الإسلامي، مكتبة دار الفتح، دمشق 1380 هـ / 1960 م.(ص238)
- 30- محمد عيد (دكتور) : المظاهر الطارئة على الفصحى، اللحن، التصحيف، التوليد، التعريب ، المصطلح العلمي(ص138)
- 31- المرجع نفسه (ص144)
- 32- محمود تيمور : مشكلات اللغة العربية ، الطبعة الأولى ، المطبعة النموذجية 1956 م . (ص14)
- 33- حلمي خليل (دكتور) : المولد في العربية دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام (ص7_8)
- 34- إبراهيم السامرائي (دكتور) : تنمية اللغة العربية في العصر الحديث ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، 1973 م.(ص8_9)
- 35- إميل بديع يعقوب (دكتور) : معجم الخطأ والصواب في اللغة، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان، نوفمبر 1983.(ص34)
- 36- حلمي خليل (دكتور) : المولد في العربية دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام (ص525_526)
- 37- أحمد عبد الغفار عطار : الزحف على لغة القرآن ، الطبعة الأولى ، بيروت 1385 هـ / 1965 م . (ص102_103)
- 38- إبراهيم السامرائي (دكتور) : مباحث لغوية ، منشورات مكتبة الأندلس ، بغداد 1391 هـ / 1971 م (ص9)